

## التفكير النقدي عند ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء

### Critical Thinking in Ibn Qutaibah's Book Poetry and Poets

د. مُحَمَّد أبوبكر سليمان

قسم اللغة العربية

كلية الإنسانيات،

بجامعة سلي لاميطو، كفن هوسا

ولاية جغاوا، نيجيريا

**Dr. Muhammad Abubakar Sulaiman**

[mashahlee88@gmail.com](mailto:mashahlee88@gmail.com)

+23470 65025888 +23470 14071446

Department of Arabic,

Faculty of Humanities,

Sule Lamido University Kafin Hausa,

Jigawa State.

ملخص البحث:

يعد كتاب الشعر والشعراء الكتب المؤلفة في إبراز الشعراء العرب المشهورين الذين يعرفهم جمهرة أهل الأدب حيث أُخبر فيه عن الشعراء وأزمانهم، وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم، وعمما يستحسن من أخبار الرجل ويستجد من شعره وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه المتأخرون. وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها، ويُستحسن لها، إلى غير ذلك. اتبعت الدراسة منهجاً استقرائياً وصفيًا. ويهدف هذا البحث إلى تتبع فكرة نقدية أساسية في الكتاب من موضوعية في النقد وأحكام النقدية حيث حدد الأسس الجمالية في نقده من جودة اللفظ والمعنى في الشعر، وعيوب الشعر من التكلف والطبع وشعراء المتكفين. ويتوقع الوصول إلى نتائج كثيرة من أهمها: يمثل ابن قتيبة شخصية مؤرخ الأدب والناقد الأدبي في وقت واحد، يميل التفكير النقدي عند ابن قتيبة إلى أن يكون في جملته تصويبا لكثير من صور النقد الخاطئ الذي شاع في عصره والعصر الذي سبقه، يسجل اهتمامه بالحال النفسية لمُبدع الشعر حيث ينتمي إلى فئة النقاد الذين يرون الشعر تعبيرا عما في رفة النفس وليس محاكاة يقصد منها إلى الإثارة والتعجب.

### Abstract:

The book “Poetry and Poets” is one of the books written to highlight the famous Arab poets known to the majority of literary people. It tells about the poets, their times, destinies, circumstances in their poems, and their tribes, what is considered good in the news of the man and what is considered good in his poetry, what is the scholars took from them of error and mistake in their words or meanings, and what is the predecessors had done and the later ones took. I discussed the divisions and levels of poetry, the aspects that make poetry desirable and appropriate, and so on. The study followed an inductive and descriptive approach. This research aims to trace a fundamental critical idea in the book: objectivity in criticism and its judgments, where it identified the aesthetic foundations of its criticism, namely the quality of diction and meaning in poetry. The flaws of poetry include affectation, natural talent, and the poets of pretentiousness. Many conclusions are expected, the most important of which are: Ibn Qutaybah represents the figure of both literary historian and literary critic; Ibn Qutaybah's critical thinking tends, on the whole, to correct many of the erroneous forms of criticism prevalent in his era and the era preceding it. The psychological state of the poet is noted, as he belongs to the category of critics who see poetry as an expression of what is in the realm of the soul and not an imitation intended to provoke and amaze.

### مقدمة:

بحث في تاريخ فكرة النقد الأدبي العربي القديم الممثل في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري، المقالة في مقدمة وتمهيد وثلاثة نقاط ثم الخاتمة والمراجع.

بدأ التمهيد بذكر المؤلف ثم سبب تأليف الكتاب وتسميته إلى الفكر النقدية الأساسية في الكتاب. بينما نقل في النقطة الأولى الموضوعية في النقد والأحكام النقدية، أما النقطة الثانية ففيها الحديث عن الشعر مصدرٌ معرفيٌّ مُهمٌّ، والأخيرة الأسس الجمالية في نقد ابن قتيبة، ثم الخاتمة والمراجع.

### المؤلف:

هو أبو مُحمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة. ولد بالكوفة، وتولى منصب القضاء في الدينور، فنسب إليها، وسكن بغداد شطرا من حياته.

كان ثقة دتياً فاضلاً، عالماً باللغة والنحو، ومعاني القرآن والحديث وغيرهما، والشعر والفقهاء. حدّث عن طائفة من شيوخ العلم كإسحاق بن راهويه، ومُحمَّد بن زياد الزبائديّ، وأبي الخطاب زياد بن يحيى الحسّاني، وأبي حاتم السّجستانيّ. وحدّث عنه جماعة منهم ابنه أحمد، وعبيد الله بن عبد الرحمن السّكّريّ، وإبراهيم بن مُحمَّد بن أيّوب

الصائغ، وعبيد الله بن بُكير التميمي، وعبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي. وكان يُقال عن ابن قتيبة: "هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة؛ فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة".

ترك ابن قتيبة مؤلفات كثيرة في شؤون الدين والأدب والعربية. وقد ذكر له صاحب الفهرست ثلاثة وثلاثين كتاباً؛ منها: كتاب معاني الشعر الكبير، كتاب عيون الشعر، كتاب عيون الأخبار، كتاب التفقيه، كتاب أدب الكاتب، كتاب الشعر والشعراء، كتاب مختلف الحديث، كتاب إعراب القرآن، كتاب خلق الإنسان، كتاب القراءات، كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر، كتاب دلائل النبوة، كتاب المعارف...

والملاحظ أن الشعر وشؤونه كان جزءاً رئيساً من اهتمامات القاضي الفقيه ابن قتيبة؛ ومن ثم سمي له ابن النديم عدداً من المصنفات التي تتصل بهذا الفن: معاني الشعر الكبير، وعيون الشعر، والشعر والشعراء، وكتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر. والاتجاه النقدي الجمالي ملحوظ في عناوين هذه الكتب مما لا يخفى على أحد.

توفي ابن قتيبة سنة ٢٧٧ هـ وسبعين ومئتين هجرية على أرجح الآراء.

#### التسمية وسبب التأليف:

يرجح أهل العلم أن يكون ابن قتيبة نفسه في كتابه (الشعر والشعراء)، وقد ورد في فهرست ابن النديم (ت ٢٧٧ هـ) بهذا الاسم. ويبدو أن تأليف هذا المصنف جاء في إطار عدة كتب أراد ابن قتيبة أن يجعل منها زاداً ثقافياً للكتّاب والمتأدبين في عصره. ويذهب المستشرق دي غوية محقق الشعر والشعراء إلى أن يقول عن ابن قتيبة: "فبعد أن أخرج كتابه المشهور (أدب الكاتب)، الذي علّم فيه الكتاب فن الكتابة حقاً، رأى أن هذا النحو من التعليم لا يكفي، وأن الكتاب تنقصهم معلومات متنوعة، فأخرج أربعة كتب مختلفة الموضوعات، مما كان قد وعاه في ذهنه، ثم ألف كتابه الكبير (عيون الأخبار). والكتب الأربعة هي (كتاب الشّراب) و (كتاب المعارف) و (كتاب الشعر) وهو كتابنا هذا، و(كتاب تأويل الرؤيا).

انظر ترجمة مقدمة دي غوية لكتاب الشعر والشعراء في: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد مُجد شاكِر، ص-٥١

أراد ابن قتيبة، كما بيّنّا، أن يقدم للكّتاب والمتأدّبين في عصره جملة معارف وأخبار عن المشهورين من شعراء العرب الذين يعرفهم جمهرة أهل الأدب، ويُنتج بأشعارهم في الغريب، والنحو، والتفسير، والحديث.

وقد بيّن في المقدمة مادة كتابه وما يشبه أن يكون منهجه الذي اتبعه في عرض هذه المادة؛ إذ يقول: "هذا كتاب ألفته في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم، وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم، وأسماء آبائهم، ومن كان يُعرف باللقب أو بالكنية منهم، وعمّا يستحسن من أخبار الرجل ويستجد من شعره وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه المتأخرون. وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعرُ عليها، ويُستحسن لها، إلى غير ذلك". ومن ثمّ يصح القول إن مادة الكتاب تجمع في طبيعتها بين تاريخ الشعر، والنقد الأدبي.

### الفكر النقديّة الأساسيّة في الشعر والشعراء:

جاءت الفكر النقديّة الأساسيّة الخاصّة بابن قتيبة في مقدّمة الجزء الأوّل من الكتاب: إذ إنّ الكتاب مولف أساساً من مقدّمة نقدية وجزأين. وإذا كان متن الكتاب لا يعدم ملاحظات نقدية تتصل بالشعراء ومنازلهم، وما استجيد من أشعارهم، وما سُجّل لهم من نواحي التّفوّق أو الإخفاق، فإنّ الدارس يقف في مقدّمة الكتاب أمام الفكر النقديّة الآتية:

### النقطة الأولى: الموضوعية في النقد والأحكام النقديّة:

بيّن ابن قتيبة أن أحكامه النقديّة في الكتاب إنّما تنصرف إلى الشعر نفسه بصرف النظر عن مبدعه وما يتّصل به من شؤون وأحوال. وفي هذا يقول: "وأن أسلك، فيما ذكرته من شعر كلّ شاعر مختاراً له، سبيل مَنْ قلد، أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرتُ إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدّمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرتُ بعين العدل على الفريقين؛ وأعطيتُ كلّاً حظّه، ووفّرتُ عليه حقه".

وقد حدّد الناقد الأساس الذي بنى عليه أحكامه، وهو أساس الحسن والجودة، فقال: "فكلُّ مَنْ أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له، وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنّه. كما أنّ الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشّريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدّمه".

ويأتي موقف ابن قتيبة هذا رداً على مواقف كثيرين من معاصريه، من تحيَّروا الأشعار على أسس غير موضوعية كالتقدم في الزمان وشرف القائل وغير ذلك مما لا ينبغي أن يلتفت إليه: ومن هنا نجده يقول: "فإني رأيتُ من علماءنا مَنْ يَسْتَجِيدُ الشَّعْرَ السَّخِيفَ لتقدم قائله، ويضعه في تحيِّره، ويَرْذُلُ الشَّعْرَ الرِّصِينِ، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه رأى قائله .. ولم يَقْصُرِ اللهُ العِلْمَ والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره ... فقد كان جرير والفرزدق والأخطل

وأمثالهم يُعَدُّون محدثين؛ وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: "لقد كَثُرَ هذا المُحَدِّثُ وحسُنَ حتى لقد هممتُ بروايته، ثم صار هؤلاء قدما عندنا يتعدى العهد منهم".

#### النقطة الثانية: الشعرُ مصدرٌ معرفيٌّ مهمُّ:

عَرَضَ ابن قتيبة لأمر عرفه النقد العربي قبل عصره بزمان؛ وهو أنَّ الشعر في تصور العرب مصدر رئيس من مصادر المعرفة الموثوقة؛ ومن ثم قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قولته المشهورة: "كان الشعر عِلْمَ قوم لم يكن لهم علمٌ أصح منه".

ويوحى من هذا الإدراك لوظيفة هامة من وظائف الشعر يقول ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء: "وكان حقاً هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالَةِ قَدْرِ الشعر وعظيم خطره ... واما أودعته العرب من الأخبار النافعة، والأنساب الصحاح، والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة، والعلوم في الخيل، والنجوم وأنوائها والاهتداء بها، والرياح وما كان منها مبشراً أو جائلاً، والبروق وما كان منها حُلْباً أو صادقةً، والسَّحَاب وما كان منها جَهاماً أو ماطرًا، واما يبعث منه البخيل على السماح، والجبان على اللقاء، والديني على السمو. غير أني رأيت ما ذكرت من ذلك في كتاب العرب كثيراً كافياً، فكَرِهْتُ الإطالة بإعادته".

#### النقطة الثالثة: الأسس الجمالية في نقد ابن قتيبة:

كان ابن قتيبة ممن اتجه بالنقد العربي اتجاهها موضوعيا كما أسلفنا قبل، وقد دفعه هذا الاتجاه إلى تحديد مجموعة من الأسس الجمالية، يؤدي توافر شيء منها في الشعر إلى إعلاء منزلته ورجحان كفة مبدعه. وفي مقدور الدارس أن يتلمس الأسس والمعايير الآتية:

### جودة اللفظ والمعنى:

تتم رؤية ابن قتيبة في هذا الشأن بثنائية تفصل الشكل عن المضمون في فن الشعر، وترى لكل منهما ضرباً خاصاً من الجماليات. وإذا كان غير قليل من الدارسين المعاصرين أخذوا على ابن قتيبة مثل هذا الفصل، فإننا نرى أنه من غير الإنصاف أن نحاكم السابقين بقوانين عصرنا، مغفلين عامل الزمان وماله من تأثير في تاريخ الأفكار والمبادئ. بل يجد المرء نفسه أميل إلى تسجيل تفوق لابن قتيبة في هذه الفكرة؛ لاتجاهه بالنقد العربي من النظرة الجزئية إلى ضرب ما من النظرة الشمولية.

وجملة القول في هذا الأمر أن ابن قتيبة أعمل ثقافته النقدية في الشعر فرآه أربعة أضرب من جهة توافر الجودة في معناه ولفظه. ويقتضي الإيضاح إيراد نص ابن قتيبة في هذا الشأن على طوله؛ إذ يقول ابن قتيبة:

قال أبو محمد: تدبّرت الشعر فوجدته أربعة أضرب:

- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه، كقول القائل في بعض بني أمية:

فِي كَفِّهِ حَيْرَانٌ رِيحُهُ عَبْقٌ مِنْ كُفِّ أَرَوَعٍ فِي عَزِينِهِ سَمَمٌ

يُغْضِي حَيَاءً، وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يَكَلِمُ إِلَّا حِينَ يَيْتَسِمُ

لم يقل في الهيبة شيء أحسن منه.

- وكقول أوس بن حجر:

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذِي تَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا

لم يبتدئ أحد مرثيةً بأحسن من هذا.

- وكقول أبي ذؤيب:

والنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال: هذا أبداع بيت قاله العرب.

- وكقول النابغة:

كليني لهم يا أميمته ناصبٍ ولئيل أفاسيه بطيء الكواكب

لم يبتدئ أحد من المتقدمين بأحسن منه ولا أغرب. ومثله هذا في الشعر كثير ليس للإطالة به في هذا الموضوع وجه.

• وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هنا فائدة في المعنى كقول القائل:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على حذب المهاري رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

هذه الألفاظ، كما ترى، أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته:

ولما قطعنا أيام منى، واستلمنا الأركان، وعالينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح، ابتدأنا في

الحديث، وسارت المطي في الأبطح وهذا الصنف من الشعر كثير، ونحوه قول المعلوط:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك ما يزال معينا

عَيَّضَنَ مِنْ عَبْرَاهِيْنٍ وَقُلْنَ لِي: ماذا لقيت من الهوى ولقينا

- ونحوه قول جرير:

يا أخت ناجية، السلام عليكم قَبْلَ الرَّحِيلِ، وَقَبْلَ لَوْمِ الْعُدْلِ

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

ومن ثم قال ابن قتيبة: "لم يُقل في الكبر شيء أحسن منه" وبيت النابغة ابتداءً حسنٌ جديدٌ. ويشير ابن قتيبة في كل تعليقاته إلى سبق الشاعر إلى معناه وتجديده فيه ومطابقتها للمقام الذي يقال فيه. ويقتضي هذا الأساس خبرة بتاريخ المعاني والأفكار، وإماماً بطرائق الشعراء في تناولها. ويبدو أن ابن قتيبة ممسك بزمام هذا المطلب؛ وله في هذا كتابٌ اسمه (معاني الشعر الكبير). ويُلحظُ هذا العنصر في تفكير ابن قتيبة النقدي في قوله مثلاً: "وكان الناس يستجيدون للأعشى قوله:

وكأسٍ شربتُ على لذّةٍ لَذّةٍ وأخرى تداويتُ منها بها

حتى قال أبو نواس:

دَعَّ عنك لؤمي؛ فإن اللومَ إغراءٌ ودأوني بالتي كانت هي الداءُ

فسلخه وزاد فيه معنى آخر. اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه: فللأعشى فضلُ السَّبْقِ إليه، ولأبي نواس فضلُ الزيادة فيه".

- عندما يأتي في صورة حكمةٍ أو مثلٍ يصور خبرةً من خبرات الحياة تفيد الإنسان؛ ومن ثم استجاد ابن قتيبة معاني الضرب الثالث، واسترذل معاني أمثلة الضرب الثاني؛ لأنه لا فائدة في المعاني التي تنطوي عليها. ومن ثم يجوز القول إن (فائدة) المعنى ترتبط عند ابن قتيبة بالوظيفة المعرفية للشعر. ويؤيد هذا الاستنتاج أن كل أمثلة المعنى الرديء عند ابن قتيبة تتحدث عن شأنٍ خاصٍّ من شؤون الشاعر، ولا تقدّم خبرةً إنسانية.
- عندما يكون (لطيفاً) سلك الشاعر إليه مسلوكاً فيه خفاءً وبراعةً ودقّةً وحسن تناول. فقد عدّ ابن قتيبة من أمثلة اللطيف المعنى قول الشاعر:

يا خَيْرَ مَنْ يركبُ المطيَّ ولا يشربُ كأساً يكفِّ مَنْ بجلا

وعدّ من ذلك أبياتاً ارتجلها الحُسَيْنُ بن مُطَيَّرِ الأسدي في وصف مطرٍ جودٍ.

- عندما يكون المعنى غريباً؛ وذلك بأن تكون الوجهة التي نظر منها الشاعر إلى مهناه غير مألوفة ولافتة للنظر. وقد عدّ ابن قتيبة من أمثلة المعنى الغريب قول القائل في الفتى:

ليس الفتى بفتي لا يستضاء به ولا يكون له في الأرض آثُر  
وقول الآخر في مجوسي:

شهدتُ عليك بطيب المشاشِ وأنتَ بحرٌ جوادٌ خصمٌ  
وأنتَ سيّدُ أهلِ الجحيمِ إذا ما تردّيتَ فيمن ظلمَ  
قـرِينٌ لهامانٌ في قعرها وفـرْعُونٌ والمكْتَنِي بالحكم

وأما اللَّفْظُ فتتمثل صفات الجودة فيه فيما يأتي:

- 1- جودة المخرج والمطلع والمقطع، فقد قال عن ألفاظ المثال الأول لما حسن لفظه لفظه وقلت الفائدة في معناه: "هذه الألفاظ، كما ترى، أحسن شيء مخرج ومطالع ومقاطع". ويبدو أنه يعني بذلك شيئاً مما يسمى الطلاوة والسهولة والتدفق وشفافية الدلالة. وقد ذكر ابن قتيبة في موطن آخر أبياتاً عنها مما لا يصح في الوزن ولا يخلو في الأسماع، وعلق على ذلك بما يدل على مراده من جودة المخرج والمطلع والمقطع فقال: "وهذا يكثر، وفيما ذكرت منه مادلك على ما أردت من اختيارك أحسن الروي، وأسهل الألفاظ، وأبعدها من التعقيد والاستكراه، وأقربها من أفهام العوام. وكذلك أختار للخطيب إذا خطب، والكاتب إذا كتب؛ فإنه يُقال: أسيرُ الشَّعْرِ والكلامُ المُطْمِعُ: يُراد الذي يطمع في مثله من سمعه، وهو مكان النجم من يد المتناول".
- 2- كثرة الماء والرونق؛ إذ قال عن ألفاظ المثال الأول مما جاد معناه وقصرت عنه ألفاظه: "إنَّه قليل الماء والرونق". ويعني هذا في لغة النقد القديم إحساساً بالجفاف وقلة الإشراق والنضارة والرواء. وجملة القول أن كثرة الماء والرونق وصف للأسلوب يعني تحضراً في الشعر وحسناً وطلاوة وبريقاً.
- 3- الفصاحة وقوة الإبانة عن المعاني؛ إذ قال عن ألفاظ المثال الثاني مما جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه: "ولستُ أرى ألفاظه جياداً، ولا مبينةً لمعناه". ويجوز أن يُدلل المرء بهذا على النزعة البلاغية عند ابن

قتيبة، هذه النزعة التي تجعل (الإبانة) أبرز عناصر الكلام البليغ. ويبدو هذا عادياً عندما يضع المرء في الحسبان أن ابن قتيبة "خطيب السنة، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة".

4- السماحة والسهولة والتدفق؛ وتعني هذه أن تصدر الألفاظ عن طبع لا تكلف فيه ولا إكراه؛ ومن ثم قال ابن قتيبة معلقاً على أبيات الخليل بن أحمد: "وهذا الشعر بين التَّكَلُّفِ ردي، الصَّنْعَةِ. وكذلك أشعار العلماء ليس فيها شيء جاء عن إسماع. وسهولة، كشعر الأصمعي، وشعر ابن المقفع، وشعر الخليل". ويسمى ابن قتيبة زينة السَّماحة والسهولة (وَشْيِ الغريزة).

5- مجانبة الحشو والتكرار؛ فقد عد ابن قتيبة مما تأخره معناه ولفظه قول الأعشى

وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعني شاوٍ مِثْلَ شلؤلٍ خَلْسُلٍ شول

وقال عنه: "هذه الألفاظ الأربعة في معنى واحدٍ، وكان قد يستغني بأحدها عن جميعها".

الاستبداد بالحس الجمالي للمتلقى:

1- انتبه ابن قتيبة إلى أمرٍ مهم في تقييم الشعر؛ وهو أن بعض الأشعار لروعتها تستبد بنفس المتلقي استبداداً تاماً، يُشغَلُ معه عن أي شاغلٍ آخر، ومن ثم قال: "والله دَرُّ القاتل: أشعُرُ النَّاسِ مَنْ أَنْتَ في شعره حتى تُفَرِّغَ منه".

2- ويعني هذا طبعاً أن مظاهر الجمال في الأثر الشعري تطالع المتأمل من كل ناحية فيه؛ فيحدث هذا عنده ضرباً من الاندهاش أو الغياب أو الاستغراق التام.

3- وحين يضع المرء هذا الأمر في الحسبان يكون في مقدوره أن يفسر إعطاء العربي صفة: (أشعر الناس) لأكثر من شاعر في موقف واحد. ومن ثم ينقل ابن قتيبة قول العتيبي: "أَنْشَدَ مروان بن أبي حفصة لزهير فقال: زهير أشعُرُ النَّاسِ، ثم أَنْشَدَ للأعشى فقال: بل هذا أشعُرُ النَّاسِ، ثم أنشد لامرئ القيس فكأنها سمع به غناء على شراب، فقال: امرؤ القيس، والله، أشعُرُ النَّاسِ".

الإصابة في التشبيه:

1- وهذا هو الأسس الجمالية التي عرفها النقد العربي منذ القديم، وهم يسمون ذلك (جودة التشبيه). وقد قدم بعضهم إمرأ القيس لتفوقه في تشبيهاته؛ فقد قال عنه ابن سلام: " كان أحسن أهل طبقتة تشبيهاً، وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرمة" (طبقات، ص ٥٥).

2- والتشبيه الذي يُصيب فيه صاحبه هو الذي يُحسّن فيه تصوير مراده، كأنه رام أصاب غرضه

وقد مثل ابن قتيبة للإصابة في التشبيه بقول الشاعر في وصف القمر:

بدأن بنا وابن الليالي كأنه حُسامٌ جَلَّتْ عنه القيونُ صَقِيل

فما زِلْتُ أُفْنِي كل يوم شبابة إلى أن أتلك العيس وهو ضَيْل

- ويقول الآخر في وصف مُعَنَّ:

كأن أبا النموس إذا تَغَى يُحَاكِي عَاطاً فِي عَيْنِ شَمْسِ

يَلُوكُ بِلَحْيِهِ طَوْرًا وَطَوْرًا كَأَنَّ بِلَحْيِهِ ضَرْبَانَ ضَرْسِ

خفة الروي:

1- وهو أن يكون الروي الذي بنى عليه الشاعر قصيدته سمحا سهلا متدفقا، لا يُقَطِّعُ بالشاعر فيضطر إلى

الانتقال عنه إلى غيره. وقد مثل ابن قتيبة لخفة الروي. بقول الشاعر:

يا تَمَلِّكُ يا تَمَلِّي صليبي وذري عدي

ذريني وسِلاحِي ثم شدي الكف بالغزل

ونبلي وبقاها ك عراقيب قطعاً طحل

ومِّي نَظْرَةَ بَعْدِي ومِّي نَظْرَةَ قَبْلِي

وثَوْبَايَ جَدِيدَانِ وأرخي شُرْكَ النَّعْلِ

وإما متّ يا تَمَلِّي فكوني حرّةً مثلي

قِلة شعر الشاعر:

1- لا ينتي هذا المعيار إلى الأسس الجمالية الموضوعية، التي ترجع إلى الشعر نفسه بل يعتمد على باعث نفسي يتجلى في الميل إلى اختيار بيت لم يقل صاحبه غيره، أوله شعر قليل عزيز. يقول ابن قتيبة: "وقد يُختار ويُحفظُ: لأن قائله لم يقل غيره، أو لأن شعره قليل عزيز".

2- ويُدَلّل ابن قتيبة على ذلك بقول عبْدِ اللهِ بن أبي بن سلول المنافق:

متى ما يكن مولاك حَصْكَ لا تَزَلْ تذل ويعلوك الذين تُصَارِعُ  
وهل ينهض البازي بغير جناحه وإن فُص يوماً ريشه فهو واقع

عيوب الشعر:

1- عرض ابن قتيبة المجموعة من العيوب التي قد تلحق الشعر فتهدب بمستواه.

والحق أن العرب قد فطنوا إلى شيء من هذه العيوب في وقت مبكر عندما تحدّثوا عن (إقواء) النابغة الذبياني وبشر بن أبي خازم. وقد عرف ابن قتيبة هذا، ورأى فيه مظهراً من مظاهر التّكلف في الشعر. ومن ثمّ نجده يقول: "والتكلف من الشعر وإن كان جيداً محكماً فليس به خفاءً على ذوي العلم؛ لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير، وشدة الغناء، وشرح الجبين، وكثرة الضرورات" (ص ٩٤). ويلحظ ابن قتيبة أن العيوب التي تلحق الشعر هي غالباً نوع من الضرورات التي تُخرج الشعر عن أن يكون صحيح الإعراب. ويُستخلص من موقفه في هذا الشأن أنّ هذه العيوب

ثلاثة أنواع: عيوب في القوافي، وعيوب في الإعراب، وعيوب في اللغة.

2- فمن عيوب القوافي ذكر ابن قتيبة: الإقواء، والاكفاء، والسناد، والإيطاء، والإجازة. ويعلّق الناقد على كل من هذه العيوب مبيّناً معناه واختلاف العلماء فيه. فعن "الإقواء" مثلاً نجده يقول: "كان أبو عمرو بن العلاء يذكر أن الإقواء هو اختلاف الإعراب في القوافي؛ وذلك أن تكون قافية مرفوعة وأخرى منخفضة، كقول النابغة:

قالت بنو عامر خالوا بني أسد يا بُوسَ لِجَهْلٍ ضَرَّاراً لأقوام

وقال فيها:

تبدو كواكبه والشمس طالعةٌ لا النور نور ولا الإظلام إظلام

وبعض الناس يسمي هذا (الاكفاء)، ويزعم أن الإقواء نقصان حرف من فاصل البيت".

3- وفي عيوب الإغراب يتحدث ابن قتيبة عن طائفة من الضرورات الشعرية كتسكين ما ينبغي تحريكه، وقصر الممدود، وصرف غير المصروف، وترك الهمز المهموز.

4- ويعد ابن قتيبة من عيوب اللغة استعمال الكلام الوحشي، والقليل الاستخدام وفي هذا المعنى يقول: "وليس لِلْمُحَدَّثِ أَنْ يَتَّبِعَ الْمُتَقَدِّمَ فِي اسْتِعْمَالِ وَحْشِيِّ الْكَلَامِ الَّذِي لَمْ يَكْثُرْ، ككَثِيرٍ مِنْ أَبْنِيَةِ سَيَّبِيوِيهِ، وَاسْتِعْمَالِ الْلُغَةِ الْقَلِيلَةِ فِي الْعَرَبِ، كإِبْدَاهِمُ مِنَ الْبَاءِ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: "يا رب، إن كنت قبلت حجتي، يريد (حَجَّتِي)

وكقولهم: "جمل بُحْتَجٍ" يريدون (بُحْتِي)..."

### التكلف والطبع:

عرض الجاحظ هذه الفكرة في كتابه المتميز (البيان والتبيين). وها هو ابن قتيبة يتناول الفكرة على نحو يشي بإدراك واضح لأبعادها النفسية والفنية ويرى ابن قتيبة أن التَّكْلِفَ والطَّبْعَ حالان للإبداع ينقسم الشعراء والأشعار بمقتضاها على قسمين: فالشعراء متكلفون ومطبوعون؛ والأشعار متكلفة ومطبوعة. وإليك تفصيل القول في الأمرين:

### أ - الشعراء المتكلفون والشعر المتكلف:

1- أعطى ابن قتيبة اهتماماً خاصاً للتَّكْلِفَ فاق كثيراً اهتمامه بالطبع. ذلك لأنَّ التَّكْلِفَ حال من المعاناة والصعوبة في العملية الإبداعية عند بعض الشعراء؛ وهي حال تترك آثاراً شديدة الوضوح في الأشعار، وقد تكون آثاراً سيئة.

2- وقد حدّد ابن قتيبة طبيعة العملية الإبداعية عند متكلّفي الشعراء على هذا النحو: "فالمتكلف هو الذي قوم شِعْرُهُ بالثَّقَافِ، ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النَّظْرَ بعد النظر؛ كزهير والحطيئة. وكان الأصمعي يقول: زهير والحطيئة وأشباهها من الشعراء عَبِيدُ الشِّعْرِ؛ لأنَّهم تقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين. وكان الحطيئة يقول: حَيَّرُ الشِّعْرَ الحَوْلِي المُنْفَع المَحْكُوك. وكان زهير يستي كبرى قصائده الحَوْلِيَّاتِ".

ويستفاد من هذا النَّصِّ ما يأتي:

- أنَّ ثمة مذهبين للشعراء: مذهب المتكلفين ومذهب المطبوعين.
- أنَّ الشاعر المتكلف لا يرضى بما تُعْطيه إياه الغريزة وتغذقه عليه القريحة، بل يقوم نتاج الوهلة الأولى من الشعر كما تقوم الرماح بالثقاف: والثقاف آلة من خشب كانت تسوى بها الرِّمَاحُ المَعْوَجَةُ.
- أنَّ الشاعر المتكلف يُنْفِخُ شِعْرَهُ؛ أي يُزِيل ما فيه من زوائد كما يُنْفِخُ الرَّجُلُ الجذع أو العود بأن يُزِيل ما فيه من عُجْرٍ وَعُقْد. ويفعل الشاعر ذلك بطول التفتيش وإعمال النظر فيما أدته إليه قريحته.
- أنَّ زهيراً وتلميذه الحطيئة يقدمان نموذجاً للشاعر المتكلف، الذي يهتم اهتماماً بالغاً بتقويم شعره وتنقيحه، حتى كأنه يستعبده؛ لكثرة ما يقتضيه من خدمةٍ ورعاية.
- أنَّ شِعْرَ المطبوعين هو ابن اليوم أو اليومين أو الأسبوع، أما شعر المتكلفين

فابن الأشهر أو الحَوْلِ الكامل؛ ومن ثم سمي زهير كبرى قصائده (الحَوْلِيَّات)؛ أي التي استمرت حولاً كاملاً.

3- وابتغاء أن يُدَلِّل ابن قتيبة على معاناة المتكلفين في صناعة قصائدهم أتانا بشهادتين لشاعرين كبيرين صورا فيهما طبيعة العملية الإبداعية عندهما. والشهادة الأولى قولُ عَدِيِّ بن الرَّقَاعِ يصف صناعة القصيدة لديه:

وقصيدة قد بتُّ أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها

نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافته مُنَادِها

أما الشهادة الثانية فالآبيات المشهورة لسويد بن كراع النهشلي، وقد مثلنا بها قبل.

## ب - الشعراء المطبوعون والشعر المطبوع:

1- يرى ابن قتيبة أنّ الطَّبَع قدرة فطرية على الإبداع الشعري ويُسر في القول وتدفق. ومن هذه الوجهة يحدد

لنا طبيعة الشاعر المطبوع وخصائص شعره فيقول: "والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على

القوافي، وأراك في صدر بيته عَجْزَه، وفي فاتحته قافيته، وتبيّنت على شعره رونق الطَّبَع ووشي الغريزة، وإذا

امتحن لم يتلعثم ولم يتزخر".

2- ولا يَضَنّ علينا ابن قتيبة بتقديم المثال للشعر المطبوع؛ إذ نجده يقول: "وقال الرياشي حدثني أبو العالية

عن أبي عمران المخزومي قال: أتيت مع أبي والياً على المدينة من قريش، وعنده ابنٌ مُطَيَّرٌ، وإذا مطرٌ

جَوْدٌ، فقال له الوالي: صفة، فقال: دَعْنِي حتى أشرف وأنظر، فأشرف ونظر، ثم نزل فقال:

كثرت لكثرة قطره أطباؤُهُ      فإذا تحلب فاضت الأَطباء

وجوفِ ضُرته التي في جَوْفِهِ      جوى السماء سحلة جوفاء

ولهُ رَباب هيدب لِرِيفِهِ      قبلَ التَّبَع ديمة وطفاء

وكان بارقة حريق يلتقي      ربح عليه وعرفج وألاء

وكأنَّ رَيْفَهُ، ولَمَّا يحتفل      ودق السماء عجاجة كذراء

مُسْتَضْحك بلوامع، مستعبر      بمدامع لم تَمَرَّها الأقداء

فله بلا حزن ولا بمسرةٍ      ضَحْكَ يُؤلف بينه وبكاء

نيرانٌ مُتَّبَع ضباه تقودهُ      وجنوبه كنف له ووعاء

ودنّت له نكباؤه حتى إذا      من طول ما لَعِبَتْ به النَّكباءُ

ذاب السحابُ فهُوَ بحر كله وعلى البحور من السحاب سماء .

ثَقُلْتُ كَلَاهُ فَنَهَرْتُ أَصْلَابَهُ وَتَبَعَجْتُ مِنْ مَائِهِ الْأَحْشَاءَ

عَدَقَ يَنْتَجِ بِالْأَبَاطِحِ فُرْقًا تَلِدُ السَّيُولَ وَمَا لَهَا أَسْلَاءُ

غُرُ حَجَلَةٌ دَوَالِحُ ضُمَّنْتُ حَمْلَ اللِقَاحِ، وَكَلَهَا عَذْرَاءُ

سَخِمَ فَهِنَّ إِذَا كَظَمْنَ فَوَاحِمٌ سَوْدَ، وَهِنَّ إِذَا ضَحِكْنَ وَضَاءُ

لو كان من لحج السواحل ماؤه لم يبق من أجج السواحل ماء

قال أبو محمد: وهذا الشعر، مع إسرعه فيه كما ترى، كثير الوشي، لطيف المعاني.

3- وبين ابن قتيبة أن الطبع متخصص، وأن الشاعر يكون مطبوعاً في غرض من الأغراض أو أكثر، لكنه لا يكون مطبوعاً في كل أغراض الشعر ومقاصد القول. يقول ابن قتيبة: "والشعراء أيضاً في الطبع مختلفون: منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء؛ ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل. وقيل للعجاج: إنك لا تحسن الهجاء؟ - فقال: إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم، وأحساباً تمنعنا من أن نظلم، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم. وليس هذا كما ذكر العجاج، ولا المثل الذي ضربه للهجاء والمديح بشكل؛ لأن المديح بناء والهجاء بناء، وليس كل بان يضرب بانياً بغيره"

الخاتمة:

هذا ختام البحث حول فكرة النقد الموجودة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة الذي دار بين التمهيد عن المؤلف وتسمية الكتاب وسبب تأليفه، ثم الفكر النقدي الأساسية في الكتاب التي أتى على ثلاثة نقاط، ثم الخاتمة وبت المراجع.

وتوصلت الدراسة إلى نتائج:

- يرى ابن قتيبة من أسس الجمالية في نقده جودة اللفظ والمعنى عند الشاعر ممثلاً بذلك أشياء كثيرة.
- أعطى ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء اهتماماً خاصاً للتكلف فاق كثير لاهتمامه بالطبع، هذا جانب الشعراء المتكلفون والمطبوعون والشعر التكلف والطبع.
- يبين ابن قتيبة أن أحكامه النقدية في الكتاب إنما تنصرف إلى الشعر نفسه بصرف النظر عن مبدعه وما يتصل به من شؤون وأحوال.

#### المراجع والهوامش:

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثالثة، القاهرة 1977م.
- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة د.ت
- ترجمة مقدمة دي غوية لكتاب الشعر والشعراء في : الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص: 51-52.